

## الدرس الثاني والعشرون

### حاجة البشر الى الوحي والنبوة

- ضرورة بعثة الأنبياء .
- قصور المعرفة البشرية .
- فوائد بعثة الأنبياء .



## ضرورة بعثة الأنبياء

وهذه المسألة التي هي من أهم المسائل الأساس لفصل النبوة، يمكن إثباتها ببرهان مؤلف من ثلاث مقدمات:

١ - إن الهدف من خلق الإنسان هو: السير في طريق تكامله من خلال ممارسة الأفعال الاختيارية من أجل التوصل الى كماله النهائي، هذا الكمال الذي لا يتوصل إليه إلا باختياره وانتخابه.

وبتعبير آخر؛ إنما خلق الإنسان ليكون - بعبادته وإطاعته لله تعالى - مستعداً وأهلاً للحصول على الرحمة التي يختص بها الأفراد المتكاملون، والإرادة الإلهية الحكيمة إنما تعلقت - أصالةً وبصورة مباشرة - بكمال الإنسان وسعادته، ولكن بما أن هذا الكمال والسعادة السامية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق ممارسة الأفعال الاختيارية، لذلك جعل مسار الحياة البشرية على مفترق طريقين واتجاهين، لتتوفر بذلك أجواء الاختيار والانتخاب. وبالطبع، فإن أحد الطريقين يؤدي نحو الشقاء والعذاب، لتتعلق به الإرادة الإلهية بالتبع وبصورة غير مباشرة لا بالأصالة.

وقد اتضحت هذه المقدمة عند البحث في الحكمة والعدل الإلهي<sup>(١)</sup>.

٢ - إن الاختيار الواعي والشعوري - إضافة الى احتياجه للقدرة على ممارسة العمل، وتوفير الظروف والأجواء الخارجية لممارسة الأعمال المختلفة، ووجود الميل والدافع الداخلي لها - يحتاج أيضاً الى المعرفة الصحيحة حول الأعمال الحسنة والأعمال القبيحة، والطرق الصالحة وغير الصالحة، وإنما

---

(١) تراجع الدرس الحادي عشر والدرس العشرون، في الجزء الأول من هذا الكتاب.

يتمكن الإنسان من اختيار طريق تكامله - بكلِّ حرِّية ووعي - فيما لو كان يعرف الهدف، وطريق الوصول إليه، وكان عارفاً بكلِّ العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق.

اذن، فمقتضى الحكمة الإلهية أن تُوفَّر للبشر الوسائل والمستلزمات الضرورية للحصول على مثل هذه المعارف والمدرجات، وإلا فسيكون حاله كذلك الشخص الذي يدعو ضيفاً الى داره، ثم لا يدلُّه على موضعه، ولا على الطريق المؤدِّي اليه، ومن البديهي أن مثل هذا العمل مخالف للحكمة، وموجب لنقض الغرض.

وهذه المقدِّمة واضحة، لا تحتاج الى توضيح وتوسُّع أكثر.

٣ - إن معارف ومدرجات البشر العادية والمتعارفة، التي يحصل عليها نتيجة التعاون بين الحسِّ والعقل، وان كان لها دورها الفاعل في توفير ما يحتاج اليه في حياته، ولكنها لا تكفي في التعرف على طريق الكمال والسعادة الحقيقية، في جميع المجالات الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والدينيَّة والأخروية، وإذا لم يوجد طريق آخر لسدِّ النقائص فلن يتحقَّق الهدف الإلهي من خلق الإنسان.

وبملاحظة هذه المقدِّمات الثلاث نتوصَّل الى نتيجة مفادها: إن الحكمة الإلهية تقتضي وضع طريق آخر للبشر - غير الحسِّ والعقل - من أجل التعرف على مسار الكمال في كلِّ المجالات، حتى يستطيع البشر الاستفادة منه (مباشرة أو بواسطة فرد أو أفراد آخرين).

وهذا الطريق هو الوحي<sup>(١)</sup> الذي وضعه الله للأنبياء، ليستفيدوا هم منه بصورة مباشرة، وليستفيد منه الآخرون عن طريق الأنبياء، وليتعلَّموا منه كلُّ ما يحتاجون اليه، من أجل الوصول الى السعادة والكمال النهائي.

---

(١) وهذا البرهان من مواضع استنتاج القضية العملية (ينبغي) من القضية النظرية (يوجد)، وكذلك من مصاديق اثبات الضرورة بالقياس للمعلول عن طريق ضرورة العلة، وكذلك من مواضع اجراء البراهين اللبية في الإلهيات.

ومن بين هذه المقدمات، ربّما يحصل التردّد والتشكيك في المقدّمة الأخيرة، ومن هنا يلزم علينا توضيحها والتوسّع فيها أكثر، ليتوضّح لنا -تماماً- قصور المعرفة البشريّة عن تحديد مسير التكامل الشامل للإنسان، واحتياجه لطريق الوحي.

### قصور المعرفة البشريّة

من أجل معرفة الطريق الصحيح للحياة في كلّ أبعادها وجوانبها، لا بدّ من التعرّف على مبدأ وجود الإنسان ومصيره، وعلاقاته بسائر الموجودات، والروابط التي يمكن له إقامتها وعقدها مع بني نوعه وسائر المخلوقات، وتأثير هذه الروابط والعلاقات المختلفة في سعادته وشقائه. وكذلك عليه أن يحدّد نسب المنافع والمضار، ودرجات المصالح والمفاسد المختلفة ومقاديرها، والموازنة بينها، لتتحدّد بذلك وظائف هذا العدد الكبير من البشر، والذي يتميّز بخصائص بدنيّة ونفسيّة متفاوتة ومتغيرة، وكلّ منهم يعيش ظروفاً طبيعيّة واجتماعيّة مختلفة، ولكنّ الإحاطة بكلّ هذه الأمور لا تيسّر، وليس لفرد أو لجماعة معيّنة فحسب، بل للآلاف من الجماعات المتخصّصة، في مختلف العلوم المرتبطة بالإنسان... لا يمكنهم اكتشاف مثل هذه الدساتير والقواعد وبيانها على شكل قوانين وأحكام دقيقة ومضبوطة ومحدّدة، لتكفل بذلك توفير كلّ المصالح الفرديّة والاجتماعيّة، الماديّة والمعنويّة، الدنيويّة والأخرويّة، لكلّ البشر. وحينما يقع التزاحم والتضادّ والتعارض بين أنواع المصالح والمفاسد - وكثيراً ما يحصل ذلك - يعبّر المصلحة الأهم بدقّة، ويقدمها في المجال العملي.

إنّ ما يلاحظ من مسيرة التغيّرات الحقوقيّة والقانونيّة عبر تاريخ البشر مؤشّر على أنّه لم يوجد -حتى اليوم- بالرغم من كلّ البحوث والجهود التي بذلها الكثير من العلماء المتخصّصين عبر آلاف السنين - نظام حقوقيّ صحيح وكامل وشامل. والملاحظ - أيضاً - أنّ المقننين والمؤسّسات الحقوقيّة في العالم، تتوصّل - دائماً - الى نقاط الضعف في القوانين الوضعيّة، ولذلك

يحاولون إصلاحها أو تكميلها، بإلغاء مادة أو نسخها، أو إضافة مادة لها أو إلحاق ملاحظة بها.

ويجب علينا أن لا نغفل عن أنهم استفنأوا كثيراً - في تقنين هذه القوانين وتدوينها - من الأنظمة الحقوقية الإلهية، والشرائع السماوية. وكذلك ينبغي أن نعلم بأن كل جهود المقننين والحقوقيين متوجهة لتوفير المصالح الدنيوية والاجتماعية، دون الاهتمام بتوفير المصالح الأخروية. وملاحظة مدى علاقتها بالمصالح الدنيوية والمادية، وإذا ما أرادوا الاهتمام بهذا الجانب - الذي يُعتبر أكثر الجوانب أهمية في هذا المجال - فإنهم لن يتمكنوا من الوصول الى نتائج يقينية قاطعة، وذلك لأن المصالح المادية والدنيوية يمكن التعرف عليها - الى حد ما - وتحديدتها، من خلال التجارب العملية. أما المصالح المعنوية والأخروية فإنها لا تقبل التجربة الحسية، ولا يمكن تقويمها بدقة، وحين تتزاحم وتتعارض مع المصالح المادية والدنيوية فلا يمكن التعرف على معيار لقياس أهمية احدهما.

ومن خلال ملاحظة الحالة الراهنة التي تعيشها القوانين البشرية، يمكن لنا تقويم العلم البشري عبر آلاف أو مئات الآلاف من السنين، لتوصل لهذه النتيجة اليقينية: إن الإنسان البدائي أكثر عجزاً من إنسان عصرنا في تحديد الطريق الصحيح للحياة، وعلى فرض وصول إنسان عصرنا الى نظام حقوقي صحيح، وكامل، وشامل، من خلال تجارب آلاف السنين، وعلى تقدير القول بأن هذا النظام يتكفل توفير السعادة الأبدية والأخروية، فإن هذا السؤال يبقى ملحاً: كيف يتلاءم إهمال الأجيال الكثيرة التي عاشت عبر التاريخ الطويل في ظلام جهلها، مع الحكمة الإلهية والهدف من خلقهم؟

### والحاصل:

إن الهدف من خلق الإنسان، من البداية حتى النهاية، إنما يقبل التحقق في أرض الواقع، فيما لو وُجد طريق آخر - غير الحس والعقل - لمعرفة حقائق الحياة، والوظائف الفردية والاجتماعية، وليس هذا الطريق إلا الوحي.

وقد اتضح ممّا ذكرنا - أيضاً - أنّ مقتضى هذا البرهان، أن يكون الإنسان الأوّل نبياً، ليتعرّف على الطريق الصحيح للحياة عن طريق الوحي، ولتحقّق فيه الهدف من الخلق، وليهتدي به الآخرون.

### فوائد بعثة الأنبياء

للأنبياء الالهيّين - إضافة الى تعريف البشر وهدايتهم الى الطريق الصحيح للتكامل الحقيقي للإنسان، وتلقّي الوحي وإبلاغه للناس - فوائد وتأثيرات مهمّة أخرى في مجال تكامل البشر، وأهمّها ما يلي:

١ - إنّ هناك الكثير من المعلومات، التي يمكن للعقل الإنساني إدراكها، ولكن ربّما يغفل عنها، إمّا لاحتياجها لزمان طويل، وتجارب كثيرة، وإمّا نتيجة اهتمام الأفراد وانهماكهم في الأمور المادّية، وإمّا لسيطرة الميول الحيوانيّة عليهم، أو ربّما تغيب عن الناس نتيجة للتربية المنحرفة. أو الإعلام السيء، إن مثل هذه المعلومات بيّنها الانبياء للناس، ليحولوا دون نسيانها تماماً، من خلال تذكيرهم وتأكيدهم الدائم عليها، وليواجهوا السغالطات والتعليمات السيئة بتعليماتهم الصحيحة والمنطقية.

ومن هنا يُعرّف السبب في إطلاق صفتي (المذكّر والنذير) على الأنبياء، وإطلاق أسماء (الذكر، والذكرى، والتذكرة) على القرآن الكريم.

يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) حين يستعرض الفوائد والحكم من بعثة الأنبياء:

«ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ».

٢ - من أهمّ العوامل التي لها تأثيرها الفاعل في التربية، وفي رشد الإنسان وتكامله؛ وجود القدوة في العمل. وقد أثبتت أهميّة ذلك في بحوث علم النفس، والأنبياء الإلهيُّون الذين يمثلون الإنسان الكامل، والذين نشأوا في ظلال التربية الإلهيّة، يقومون بذلك خير قيام، إنهم - بالإضافة الى

التعليمات والمعلومات التي يزودون بها البشرية - يقومون بمهمة تربية الناس وتركيتهم . ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد قرن بين التعليم والتركية في الذكر، وحتى أنه في بعض الآيات قدّم (التركية) على (التعليم) .

٣ - ومن معطيات وفوائد وجود الأنبياء بين الناس؛ ممارسة القيادة والتوجيه في المجالات الاجتماعية والسياسية والقضائية، حينما تتوفر الظروف اللازمة لذلك . وبديهي أن القائد المعصوم من أعظم النعم الإلهية للمجتمع، حيث تُحلّ بواسطته الكثير من المعضلات والاضطرابات الاجتماعية، ويتمّ إنقاذ الأمة من الاختلاف والتنازع والفوضى والانحراف، ليقودها باتجاه كمالها المنشود .



## الأسئلة :

- ١ - ما هو الهدف من خلق الإنسان؟
- ٢ - هل تعلّقت الإرادة الإلهية بالحكمة بشقاء الإنسان وعذابه كما تعلّقت بسعادته ورحمته؟ أم هناك فرق بينهما؟
- ٣ - ما هي الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في ممارسة اختياره وانتخابه الواعي؟
- ٤ - لماذا لا يكفي العقل البشري في توفير كل المعارف اللازمة؟
- ٥ - بين الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء.
- ٦ - إذا كان يمكن للإنسان التعرف على طريق سعادته الدنيوية والأخروية من خلال الاستفادة من تجاربه الطويلة، أفلا يحتاج للوحي بعد ذلك؟ لماذا؟
- ٧ - هل يمكن إقامة الدليل العقلي على نبوة الإنسان الأول؟ وكيف؟
- ٨ - بين سائر الفوائد من وجود الأنبياء.